الوصية الجلية للسالكين فى طريق الخلوتية
المؤلف سيدى / مصطفى بن كمال الدين بن على البكري

********** حوسبة للموقع : الحاجة / فادية النوري

هذه وصية مختصرة جامعة لأغلب أركان الطريق
للشيخ مصطفى كمال الدين بن الصديقى نسباً الخلوتى طريقة الحنفى مذهبا
نفعنا الله به و المسلمين آمين

الحمد لله الذى نعمه لا تحصى، و آلاؤه لا تستقصى، و صلى الله على سيدنا محمد الذى أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، نبى بأنوار طلعته بارق الدين الحنيفى حصحصا، و على آله الطاهرين و أزواجه المبرَّآت، مَنْ على فضلهم الحق فى كتابه نصًّا، و على أصحابه الذين اهتدوا بأنوار شريعته، و اتبعوه و نالوا القرب بمتابعته، و كل منهم بجميل الثنا على ذاته اختص، و سلم تسليما كثيرا.

و بعد:
فيقول العبد الفقير، و العاجز الحقير، تراب الأقدام، و خادم الخدام مصطفى بن كمال الدين بن على الصديقى نسباً الخلوتى طريقة الحنفى مذهبا :
لما من الحق سبحانه و تعالى علىَّ، بزيارتى للبيت المقدَّس الأقدس، و المنزل السامى الأنفس، ثم منَّ علىَّ بزيارتى لكليمه موسى -عليه الصلاة و السلام-، و خليله إبراهيم -عليه الصلاة و السلام-، و أولاده الكرام، و بقية الأنبياء الأعلام، ثم بزيارتى للأنبياء الذين فى جبل نابلس، حين ذهابى لزيارة سيدى الشيخ على بن عليل العمرى -قدس الله سره-، ثم بعد ذلك قضى بتوجهى إلى نحو أراضى دمشق الشام، المحفوظة باللطف و الإنعام، و كانت مدة إقامتى فى بيت المقدس ستة أشهر و بعض أيام، و ذلك أنى خرجت من الشام، في تاسع عشر شهر محرم سنة ألف و مائة اثنين و عشرين، و دخلت بيت المقدس فى التاسع و العشرين من محرم الحرام، و عزمنا على التوجه فى أوائل شعبان المبارك، من السنة المذكورة، و كان قد اتصل بطريقتنا طريقة الخلوتية جماعة، فلما أردنا التوجه قصدنا أن نتحفهم بوصية مختصرة جامعة لأغلب أركان الطريق، لتكون منبهة لهم فيما يحتاجونه من التخلق بأخلاق أولائك الفريق.
و الله أسأل أن ينفع بها كل من طالعها و عمل بما فيها من الإخوان، و أن يجعلها سببا لجذبهم إلى نيل مقامات الإحسان، أنه سبحانه على كل شيء قدير، و بعباده بصير، و سميتها " الوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية ".

موقع الطريقة الرحمية الخلوتية

فأقول و منه سبحانه و تعالى أرتجى القبول :

اعلموا إخوانى و فقنى الله و إياكم لسلوك طريق المقربين الأخيار، و عصمنا من الزيغ عن الشريعة المحمدية و الإغترار، أن طريق السادة العارفين من أهل الطريق المبين -رضى الله عنهم-، طريق غيب غير محسوس و لا مشهود، و سلوكه بالقلوب لانه عن الغيوب، فيجب على المريدين التصديق بأثاره، و الإذعان لسطعان أنواره، مع الجد و الإجتهاد و التوجه الكلى و الإستعداد، لإن سلوكه يصعب على النفوس، لكونه علم ذوق و لا يسطر في الطروس، و مثال السالك فيه كمثال الساير فى طريق الحج، فإن من أراد السير فى طريق الحج، لابد له من ترك مألوفاته، و هنا كذلك.

ثم يترك الأهل و الأوطان رغبة فى إرضاء الملك الديان، و كذلك هنا لابد له أن لا يلتفت، إلى أهل و لا أوطان و لا الأصحاب و لا الخلان، بل لا بد له من تغيير الأنفاس و الجلاس، ليصير من الأكياس.

ثم لابد له من زاد و هو هنا التقوى.

و لابد له من من سلاح ليضرب به عدوه، و هو هنا الذكر.

و لابد له من مركوب حتى تهون عليه الطريق، و هنا المقصود منه الهمة، لأن بها يرتقى المريد إلى أعلى المقامات.

و لابد له من دليل يسير أمامه، و هو هنا الأستاذ المربى، فإن من سلك فى الطريق بغير دليل، ضل و تاه، و ربما هلك مع الهالكين، و لقد أشرت إلى ذلك بقولى سابقاً فى الرسالة التى سميتها <النصيحة السنية فى معرفة آداب كسوة الخلوتية >.

إن لم تكن تشهد لحى سعاد * لا تنزلن منازل الأسيادِ
و إن تكن سكران من خمر السوى * إياك أن تدنو لأرض الوادى
فلأن دنوت أصبت منه إساءة * و طردت عن ذاك المقام الصادى
فإذا أردت فخد أمامك سيداً * يحميك من طرد و من إبعادِ
من بعدُ سر بفنا ظل ركابه * و أعرف له حق المقام البادى
إياك أن ترقى بلا درج فإن * تصعد هلكت و لم تنل المرادِ
و إن تسير بغير معرفة بأرض * النور أرض ذوى المكان الشادى
هذه عروس أين من تجلى له * هذى المليحة أين ذا الصيادِ
إياك دعوى الوصل قبل وصالها * فإذا فعلت فضحت فى الأشهادِ
فألزم إلى حى السكون ميمما * أرض الخفى و منازل الأفرادِ

و لابد له من رفقة يستأنس بهم فى طريقه، و يساعدونه فى سحقه و تمزيقه، و المقصود منهم إخوانه الذين هم طالبون مطلب.

ثم إذا سار و أراد أن يشعل مصباح الحكمة فى بيت قلبه المظلم، ترك آثار السوى و العمل بالحظ و الهوى، ليرى ما فيه من الرذائل، فيطهره منها، و يخرج بكليته عنها.

و لا بد له من سبعة أشياء ؛ لأن من أراد أن يوقد مصباحاً لابد له منها، و هى الزناد و الحجر الحراق و الكبريت و المسرجة و الفتيلة و الدهن.

فمن طلب أن يوقد مصباح الحكمة، فلابد له من زناد الجهد، قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }.

و لابد له أيضا من حجر التضرع، قال الله تعالى : { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً }.

و لابد له من حراق؛ و هو احتراق النفس بالمخالفة، قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } .

موقع الطريقة الدوعية الخلوتية

و لابد له من كبريت الإنابة، قال الله تعالى : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ }.
و لابد له من مسرجة الصبر، قال تعالى : { وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } .
و لابد له من فتيلة الشكر، قال تعالى : { وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }.
و لابد له من دهن الرضى بالقضاء، قال تعالى : { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ }.

فإذا تخلق المريد بهذه الأوصاف السبعة، فحينئذ يمكنه أن يشعل مصباح الحكمة فى قلبه، و هذه أول كرامه يكرم الله تعالى بها المريد، أن يوقد فى قلبه مصباحا ملكوتيا، حتى أنه بعد ذلك إذا دست عليه النفس دسيسة، يطلعه الله عليها، لوجود ذلك النور المقذوف فى القلب، فتقل عليه الدسائس النفسية.

و إنما قلنا تقل، لأنها ربما دست دسيسة قبيحة، و زينت للمريد أنها جميلة، فإذا نبهه الله تعالى عليها، نجى منها، و إلا وقع فيها، و أيضا فقد شبهوا القلب ببيت فيه خمس كوات، يدخل منها الهوى إذا فتحت، و إذا غلقت امتنع دخول الريح إلى ذلك البيت، فعند غلقها يقوى نور ذلك المصباح، و يشرق البيت به، و إذا فتحت تلك الكوات أو أحداهن، ضعف إشراق ذلك المصباح، و ربما طفئ.

فالمقصود من الكوات الخمس ؛ الحواس الخمس، فإذا أشغل المريد الحواس الخمس، اشتغل القلب لاشتغالها، و كذا لبعضها، و إذا منعها من الأشتغال بغير الحق، اشتغل القلب بمراقبة جلال الحق و عظمته و كبريائه، التى هى كناية عن المصباح.
و معلوم أن هذه المراقبة هى التى يهدى بها أهل الطريق، و يحصل لهم بها كمال التوجيه، فإذا غفل المريد عنها، فكأنه أطفأ ذلك المصباح.

فينبغى لسالكين طريق القوم -رضى الله تعالى عنهم و أرضاهم- أن يفرغوا قلوبهم من كل علة، عن كل مبعد من حضرات القرب، لأن في ذلك حياة القلوب، و فيه استمطار ماء الغيوب، و المدد الإلهى لا يقع إلا فى قلوب فارغة متعطشة إلى ذلك غالباً، فليجتهد المريدون لنيل هذه الإمدادات الإلهية فى التخلية، لينالوا بعدها التحلية، فإن من لم يتخلى لا يتحلى.

ثم مما يجب على الإخوان، وفقهم الله تعالى إلى إجتناء ثمرات العرفان، أن يعرفوا أولا قبل كل شىء، ما يجب لمولانا جل و عز، و ما يستحيل و ما يجوز، و كذا فى حق الرسل -عليهم الصلاة و السلام-، ثم يعرف المريد ما يحتاج إليه من باب الطهارة، و الصلاة، و الصيام، و الزكاة، إن وجد عنده النصاب، و الحج إن وجب عليه ذلك، بقدر الضرورة.

و لا يشتغل فى القدر الزائد على ذلك، إلا بعد الكمال، فإن أهل الطريق يجب عليهم أن لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم، فإن كل من خالف الشريعة المحمدية ضل و تاه عن الطريقة المرضية، فالشريعة أصل، و الحقيقة فرعها، فكل من لم يحكم الأصل، لا ينتفع بالفرع، و لهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان الدارانى -قدس الله سره- يقول : ما حرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول.

فشريعة بلا حقيقة عاطلة، و حقيقة بلا شريعة باطلة، و لهذا قال الشيخ محي الدين -قدس الله سره- :

لا تقتدى بالذى زالت شريعته عنه *** و لو جاء بالأنباء عن الله

و مما يجب عليهم القيام بأوراد الطريق جميعها، من غير إخلال بشىء منها، و أن يوبخوا نفوسهم إذا تخلفوا عن مجلس ذكر، أو وعظ، أو غير ذلك، فيقول المتخلف عن حضرة إخوانه، يا فرحكم حضرتم المجلس، و يا شقاوتى، الذى فاتنى ذلك، و ليحذر المتخلف أن يعتاد ذلك، فيوقعه فى الكسل، و يحرم بركة الإجتماع مع

موقع الطريقة الرحمية الخلوتية

إخوانه فى الذكر و الأوراد، فإن الذاكر جالس فى حضرة الله تعالى، و إذا دخل المريد وحده إلى تلك الحضرة ربما حصل له فى تلك الحضرة هيبة، تمنعه من الإستغراق و التمادى فى تلك الحضرة، و إذا كان مع إخوانه لا يحصل له شىء من ذلك.

و أيضا فإنه إذا كان مع إخوانه حكم لنفسه بنيل الخير، و حصول الرحمة، و أما إذا كان وحده، فإنه لا يحكم لنفسه بذلك لما يعلم من أحوال نفسه، و لعدم رؤيته نفسه أنه أهلاً للرحمة، و الذاكرون لله هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فإذا جلس معهم من يرى نفسه أنه ليس أهلاً للرحمة الخاصة، تحقق بمجالسته لإخوانه حصول الرحمة العامة لهم.

و أيضا فإن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فإذا تخلف واحد من الإخوان و تمادى على ذلك، و كان ذلك لغير عذر ضرورى، ربما تبعه فى ذلك آخر، و الآخر آخر فتتبعه جميع إخوانه، فيكون هو الذى يتحمل وزر هذه السيئة، و تكتب فى صحيفته.

و كان سيدي إبراهيم الدسوقى -قدس الله سره- يقول : ما قطع مريد ورده يوماً إلا قطع الله عنه الإمداد فى ذلك اليوم، فإن طريق القوم طريق تحقيق، و تصديق، و جهد، و عمل، و تنزه، و غض بصر، و طهارة يد و فرج و لسان، فمن خالف شيئاً من أفعالها رفضته كرهاً.

و كان يقول -رضى الله عنه- :
قوت المريد الصادق فى بدايته الجوع، و مطره الدموع، و فطره الرجوع، يصوم حتى يرق و يلين قلبه و تدخل الرقة قلبه، و أما من شبع و نام و لغى فى الكلام و ترخص و قال : ليس على فاعل ذلك ملام، فلا يجئ منه شىء و السلام. انتهى

و من أوصافهم : أن لا يقول أحد منهم لى و لا متاعى و لا كتابى و لا ثوبى، لأن العبد لا ملك له مع سيده، و لا يمنع أحداً من إخوانه، كتابه و لا ثوبه و لا حاجة من حوائجه، إذا كان أحد إخوانه محتاجاً إليه، لأن الأخوان جميع مالهم مشترك بين إخوانهم، ليس لأحدهم ملك دون الأخر، و ليس لهم أن يمنحوا بعضهم بعضاً، بشىء لا تسمح به النفوس عادة، إلا عند الإضطرار الكلى، و إذا طلب أحدهم من أخيه حاجة، أن يكون طلبه برفق و لين، و يكون إعطاء المسئول أيضا، ببشاشة و فرح، و يرى أن الفضل للآخذ.

و مما يجب عليهم : التخلق به بالأخلاق الكريمة، و تجنب الأوصاف الذميمة، لأن التصوف هو الصفا و الوفا و التخلق بأخلاق المصطفى.
و لقد ذكرت فى الرسالة المتقدم ذكرها، تفسير أبى العباس المرسى للصوفى، فسبكت ذلك فى أبيات و هى هذه :
الصادُ فى الصوفى صدق مع صفا * و الصبر فى السراء و الضراء
و الواو وجد ثم ودّ صافى * و وفاؤه جهراً بغير خفاء
و الفاء فقد ثم فقر دائماً * و فناؤه عنه لنيل مناء
و الياء نسبته لحضرة ربه * فأعمل بذا إن رمت للعلياء

و لا يكفى المريد التعلق، بل لا بد له من التخلق، و هما يثمران التحقق، و مما يجب عليهم القيام بشروطه الثمانية قياماً كلياً، و هى :

الأول الصمت : على المريد المبتدئ أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، و بقلبه عن جميع الخواطر فى شىء من الأشياء، فإن من صمت لسانه عن لغو الحديث، فإن من صمت لسانه و قلبه ، انكشفت له الأسرار و جليت عليه المعارف الأبكار، فإذا صمد المريد بقبله و لسانه، إنتقل إلى مقامات المحادثة السرية، لأن صمت الإنسان فى نفسه لا يمكن أصلا.
و هذا الصمت يورث معرفة الحق سبحانه و تعالى، و لقد قلت فيه أبياتاً :

انظر أخى لما فى الصمت من حكم * و اعمل به تنل قرباً و إحساناً
و اصمت بقلبك كل الأمور و قمدد * فى وصفه يا فتى سراً و إعلاناً
فذاك نور به تهدى القلوب إلى * حظائر القدس تحقيقاً و إيقاناً

الثانى الجوع : و هو إضطرارى و إختيارى، و جوع أهل الطريق إختيارى لا إضطرارى، و لو لم يكن كذلك، لما كان فيه مزيد فائدة، و لذا قال بعضهم : لو يباع الجوع فى السوق، للزم المريدون أن لا يشتروا غيره. و لكن بشرط أن لا يضر بنيته.
و قد ورد فى حديث مرسل : « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع و العطش، و هو يورث معرفة الشيطان ».

الثالث السهر : و هو على قسمين :
سهر العين : لتعمير الوقت، و لدوام الترقى فى المنازل العلية ؛ لأن بنوم العين يبطل عمل القلب، ففائدة السهر دوام عمل القلب.
و أما سهر القلب : فهو تيقظه من نوم الغفلة، و البعد إلى منازل المشاهدة و القرب، و السهر ينشأ من فراغ المعدة من فضلات الطام و الشراب، و هو يورث معرفة النفس.

الرابع الإعتزال : و هو الإنفراد و الإنقطاع عن الخلق، إيثار لصحبة المولى سبحانه و تعالى، و يكون بالأجسام و هذا حال المريدين، و بالقلوب و هذا مقام العارفين، و هو لا يكفى عن اشتراط الصمت، لأنه إذا حصل به الصمت باللسان، لا يحصل به الصمت بالقلب، فمن داوم عليه و قف على أسرار الوحدانية، و هو يورث معرفة الدنيا.

الخامس : دوام الطهارة ظاهراً و باطناً ؛ لأن طهارة الظاهر تؤثر فى الباطن، و لما ورد فى الحديث القدسى :
[يا موسى ، إذا أصابتك مصيبة و أنت على غير وضوء، فلا تلومن إلا نفسك].

و لقوله -عليه الصلاة و السلام- : « دم على الطهارة يوسع عليك الرزق ».
و الحديث محتمل للرزق الظاهر و الباطن، و هى تورث معرفة تطهير القلب و تزكيته.

السادس : مداومة الذكر بالأسم الذى يلقن الشيخ المريد به، فإن المريض إذا استعمل الدواء المناسب لمرضه و مزاجه، أثر معه ذلك بقدرة الله تعالى، و الشيخ فى الحال لا يلقن المريد، إلا ما يناسب حاله، فلا ينبغى للمريد أن يستعمل إلا ذلك، لأنه أنفع للقلوب فى ذكر المحبوب، و هو يورث معرفة المذكور.

السابع : نفى الخواطر عن القلب، لئلا يشتغل بها عن استحضار معانى الذكر، و الحضور و الخشوع، و بنفيها يحصل خلوص القلب من الأكدار، و تظهر فيه لمحات الأنوار، و هو يورث معرفة تخليص التوحيد من الشرك الخفى.

الثامن : ربط قلب المريد بالأستاذ، و معناه أن يداوم المريد على مشاهدة صورة الشيخ و هذا آكد الشروط عند القوم، و هو يورث معرفة الترقى من مقام إلى آخر.

و من أوصافهم : إذا اجتمعوا فى حلقة ذكر أن تتوافق أصواتهم ؛ لأن ذلك أبلغ فى التأثير، فإذا خالف أحدهم ينبغى أن يرجع إلى موافقتهم، فإن لم يرجع يكون أساء مع إخوانه ؛ لأنه لا يحصل لهم الحظ التام، إلا إذا توافق منهم الأصوات، و كانت مسألتهم واحدة، و أن يتضامنوا لئلا يدخل الشيطان بينهم، و ألا يخلوا بأدب من آداب الذكر، و هى عشرون أدباً، خمسة سابقة على الذكر، و إثنى عشر فى حالة الذكر، و ثلاثة بعده.

فأما الخمسة التى قبله :

فأولها : التوبة، و حقيقتها عند القوم : ترك ما لا يعنى قولاً و فعلاً و إرادة، و معنى ذلك كل شىء لا يرقى المريد فى طريقه فليتركه.
ثانيها : الغسل للذكر أو الوضوء.
ثالثها : السكون و السكوت ليحصل له بذلك، الصدق و جمعية القلب على الحق سبحانه و تعالى، ثم بعد ذلك يشغل قلبه فى الذكر، ثم يتبع اللسان القلب.
رابعها : أن يستمد بقلبه عند شروعه فى الذكر بهمة شيخه.
خامسها : أن يرى أن استمداده من شيخه، هو استمداده من النبى -صلى الله عليه و سلم- حقيقة، لأنه هو الواسطة بينه و بينه.

و أما الأثنى عشر التى فى حالة الذكر :

الأول : جلوسه على مكان طاهر.
الثانى : أن يضع راحتيه على ركبتيه.
الثالث : تطيب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة، و كذلك ثيابه.
الرابع : لبس اللباس الطيب الحلال، و لو بشراميط الكتان.
الخامس : اختيار المكان المظلم إن وجد.
السادس : تغميض العينين لكى تنسد طرق الحواس الظاهرة، و بسدها تنفتح الحواس القلبية.
السابع : أن يخيل شخص شيخه بين عينيه، و هذا آكد الآداب.
الثامن : الصدق فى الذكر حتى يستوى عنده السر و العلانية.
التاسع : الإخلاص فيه، و هو تصفية العمل من كل شوب.
العاشر : أن يختار من صيغ الذكر لا إله إلا الله، فإن لها عند العارفين تأثيراً لا يوجد فى غيرها.
الحادى عشر : استحضار معنى الذكر بقلبه، على اختلاف درجات المشاهدة فى الذاكرين، و يجب علي المريد أن يعرض على شيخه كل شىء يترقى إليه من الأذواق، ليعلمه كيفية الأدب فيه.

موقع الطريقة الدومية الخلوتية

الثانى عشر : نفى كل موجود حال الذكر من القلب، سوى الله سبحانه و تعالى، فإن الله غيور أن يرى فى قلب عبده المؤمن غيره، و لولا أن للشيخ مدخلاً فى التربية و الترقى، ما شرطوا على المريد تخييله فى قلبه، و إنما نفوا عن القلب كل ما سوى الله، ليتمكن لهم تأثير لا إله إلا الله بالقلب، و يسرى إلى جميع الأعضاء، كما أنشدوا فى ذلك :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً خالياً فتمكنا

و أجمعوا على أنه ينبغى للمريد إذا ذكر الله، أن يهتز من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، و هى حالة يستدل بها على أنه صاحب همة، فيرجى له الفتوح عن قرب.

و أما الثلاثة التى عقب الذكر :

فأولها : أن يسكن إذا سكت، و يخشع و يحضر مع قلبه، مترقباً لوارد الذكر، فلعله يرد عليه وارد يعمر وجوده فى لمحة، أكثر مما تعمره المجاهدة و الرياضة فى أكثر من ثلاثين سنة، و ذلك أنه إذا كان الوارد وارد زهد، فيجب عليه التمهل فيه، حتى يمتكن فيه الزهد، و يصير يتنغص إذا فتح عليه بشىء من الدنيا، عكس ما كان عليه فى الأول.
و إن كان وارد صبر على تحمل الأذى مثلاً، فيجب عليه التمهل فيه حتى يستحكم و يصير إذا قام الوجود كله عليه بالأذى، لا تتحرك منه شعرة، كما لا يتحرك الجبل من نفخة ناموسة.
و هكذا بخلاف ما إذا لم يترقب حصول شىء من ذلك، فإنه لا يحصل له تحقق بذلك المقام الذى أتى به الوارد.
قال الله تعالى : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا } فإن لم يكن عند الذاكر اشتياق و طلب لشىء لا يعطاه.

ثانيها : أن يزم نفسه مراراً من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر من ذلك، بحسب قوة عزمه، و هذا كالمجمع على وجوبه عند القوم، فإنه أسرع فى تنوير البصيرة، و كشف الحجب، و قطع خواطر النفس و الشيطان.

ثالثها : منع شرب الماء عقب الذكر، فإن الذكر يورث حرقة و هيجاناً و شوقاً إلى المذكور، الذى هو المطلوب الأعظم من الذكر، و شرب الماء يطفىء تلك الحرارة.

فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة، فإن نتيجة الذكر إنما تظهر منها.

ذكر هذه الآداب سيدى الشيخ الشعرانى، فى النفحات القدسية فى بيان قواعد الصوفية، و قال فيها :
و لقد رأيت مرة سيدى محمد الشناوى -رضى الله تعالى عنه- فى المنام بعد موته، فقال لى :
أدب أصحابك حتى يثمر فيهم الذكر، فإن الذكر إذا لم يكن معه أدب، فهو كذكر الشيطان لله عز و جل سواء، و الشيطان لا ترقى له بذلك، لأنه ممن سبق له الشقاء. انتهى

فينبغى لمن أراد أن تظهر له ثمرة الذكر، أن يقوم بهذه الآداب جميعاً، و لا يخل بشىء منها، فإن فائدة الذكر لا تظهر بدونها.

و من أخلاقهم الرفق و اللين و خفض الجناح لإخوانهم، و إذا أراد أحدهم أن ينصح أخاه، فلينصحه برفق لقوله -عليه الصلاة و السلام- : « من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف ».

موقع الطريقة الدوسية الخلوتية

و ليحسن خلقه مع إخوانه، و ليكن هيناً ليناً لقوله -صلى الله عليه و سلم- : « و الذى نفسى بيده، لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق »٠
و كان يقول فى دعائه : « اللهم حسن خُلُقى و خَلقى »٠

و ليكونوا على بعضهم أشفق من أحدهم على نفسه، و أن يوقظوا بعضهم بعضاً فى الأسحار، و أوقات القيام و الأذكار بتلطف، و أن يخصص كل منهم إخوانه فى أوقات حصول الإستئناس و البسط لأحدهم فى الخلوات، لأن دعاء الأخ لأخيه فى ظهر الغيب لا يرد، و أن لا يسلم كل منهم لصاحبه ما لا تقتضيه الطريق، إلا إذا كان الفاعل لذلك الشىء، أعلى من المعترض، فينبغى أن يستفهم عن ذلك من الأعلى، و سلم له فعله إذا كان بحجة موافقة للطريق، فإن كل منهم يقدم مصالح إخوانه على مصالح نفسه، و يرى الفضل لأخيه، حيث أنه تسبب له فى نيل الثواب بإستقضائه لحاجته٠
قال عليه الصلاة و السلام : « إن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه »٠

و إذا غاب أحد عن الأوراد فيسألوا عنه، فإذا غاب لحاجة دعوا له بقضائها، و إن كان مريضاً عادوه، و إن إحتاج أحد منهم للخدمة، جلسوا عنده للخدمة، و طلبوا له من الله تعالى الشفاء، عقب التهجدات و فواتح الأوراد، و يكونون كلهم كجسد واحد٠

و من أوصافهم : إذا وجدوا فى باطنهم ضيقاً، فإن يكن الذى أصابه ذلك عند الشيخ، أخبره به، و إلا فليتوجه بكليته إلى أستاذه، و يسأله دفع ذلك عنه٠
و إن حرم أحدهم اللذة فى مناجاته و طاعته، فليبادر بالتوبة و الإستغفار، فإن ذلك من عقوبة ذنب صدر منه، و ليحذر المريد من تغيير باطن الشيخ عليه، فإن ذلك يؤثر فى المريد و لو بعد وفاة الشيخ
٠
و قد قال لى بعضهم :
لن يصيب المريد آفة من الآفات ما دام باطن الشيخ متوجهاً إليه، فإذا طرقته آفة فليبادر إلى شيخه و يسأله المسامحة إذا كان الشيخ عنده، و إلا فليتوجه بقلبه إلى الشيخ و يسأله الصفح عنه٠
و لهذا قال سيدى أبو العباس المرسى -قدس الله سره- :
كل مريد خاف من الخلق مع وجود أستاذه، فهو كاذب فى إرادته، و فى إستناده إلى شيخه، فإن المريد مع شيخه كولد اللبوة فى حجرها، أفتراها تاركة ولدها لمن يريد اغتياله ؟ لا و الله٠

و من أخلاقهم : الذل و الإنكسار مع الصغار و الكبار، لقوله -صلى الله عليه و سلم- :
من تواضع لله رفعه الله، و من تكبر على الله وضعه الله »٠
و قد قال السيد الجليل الإمام عبد القادر الجيلانى -قدس الله سره- :
ما وصلت إلى الله بقيام ليل و لا بصيام نهار، و لكن وصلت إلى الله بالكرم و التواضع و سلامة الصدر٠

و أن لا يكون عندهم حقد و لا حسد و لا مشاحنة و إستهزاء بأحد من المخلوقين، و أن يبادروا بالأعمال الصالحة، و لا يهملوا وقت عبادة إلى غيرها، فما فات لا يعاد، و إلى ذلك أشرت بقولى :

قم و بادر و دع جميع المعاصى * و تخلق بالصدق و الإخلاص
ثم إياك على نهى خليلى * علة المراذا تجر النواصى
ثم خف فى المعاد عدل عدل * عالم ثم للذنوب فحاصى
و تجرد فكم ترى يا مُعنى * عن حمى ذا الإله باللهو قاصى
لا تعرج على السوا و دع المي * ل لقول الوشاة من الأشخاص

ثم قم فى الدجى و نادى بذل * سيدى من سواك حسن خلاصى

و قد قيل : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، و النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك الباطل.

و من شأنهم : دوام المجاهدة و ترك الشهوات، فمن وافق شهوته عدم صفوته.

و إنهم لا يبالون بكلام العذال من أهل الجدال، و ممن لم يسلك الطريق، و لا ذاق حلاوة التمزيق و الجمع و التفريق.

و من أخلاقهم : الإقبال على الأستاذ بالكلية، لكى يقبل هو عليهم كذلك، وهذا من باب العدل، و فى المحبة أن يحبوه أكثر من مالهم و ولدهم و أهلهم و نفوسهم و الخلق أجمعين، بعد محبة الله و رسوله، و ذلك للأشياخ - رضى الله عنهم- لأنهم هم الأبواب.
و لقد قلت فى ذلك :

الخير فى باب الشيوخ فلذ بهم * كى ما يزول عن القلوب غشاها
و قم على أعتابهم بتذلل * ليزول عن عين الفؤاد غطاها
قوم لهم رتب المعالى منزل * و نزيلهم يرقى إلى أعلاها
و القلب قرباً ينجلى بسناهم * و الروح فيهم تحتظى بمناها
يا طالباً من غير سلماً مطلباً * دع عنك يا خالى شهود سواها
و اطلب بصدقك شربة تزل الظما * و هى الشفا أواه ما أحلاها

و مما يجب عليهم عدم تتبع عورات الخلق، فإن ظهرت من أحد هفوة ستروها، أو ذلة تجاوزوا عنها، و إذا كشف لأحدهم عن عورات الناس، سأل الله أن يستر عنه ذلك، لأن ذلك كشف شيطانى لا يعبأ به.

و فى حديث الطبرانى مرفوعاً : « من تتبع عورات الناس، تتبع الله عورته، و من تتبع الله عورته فضحه و لو فى جوف بيته ».
و لقد أدركنا أقواماً لا عيوب لهم فتتبعوا عورات الناس، فأحدث الله لهم عيوبا.
و كان سيدى أحمد الزاهد يقول : إذا رأيتم أحداً من إخوانكم على معصية فأستروه، فإن تجاهر لكم بها فوبخوه بينكم و بينه، فإن لم يرتجع فوبخوه بين الناس مصلحة له، لعله يرجع و ينزجر، و مدام يعصى فى عقر داره، و لو بحضرة أطفال داره فهو لم يتجاهر، إلا إذا كانت الأطفال من أهل العبادة فإنهم كالرجال.

و قد أنشد بعضهم فى ذلك :
قبيح على الإنسان ينسى عيوبه * و يذكر عيبا فى أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره * و فيه عيوب لو رآها بها اكتفى

و من شأنهم : أن ينفقوا على إخوانهم و على نفوسهم، كلما فتح الله به عليهم أولا فأولا، و لو كان شيئاً زهيداً، و لا يعَّودون نفوسهم الإختصاص بشىء عن إخوانهم أبداً، فإن من آثر على إخوانه فى الشهوات لا يفلح و لا يرتقى المقامات.

و من شأن : المتقدم عليهم فى البدء و الختام، أن لا يعجل فى الختم على الخصوص، إذا رأى الذكر قد احتبك، و الأصوات قد توافقت، و الأشواق قد تحركت، فليصبر على إخوانه حتى يعلم أنهم قد أخذوا بعض حظهم من الذكر، و بعد ذلك يختم.
و أيضاً فينبغى أن لا يشدد عليهم، إذا رآهم قد ملوا و غلبهم النعاس، أو فيهم ذو حاجة، فالرفق بالإخوان محمود.

و ينبغى لهم : أن كل من تقدم عليهم، يقدمونه و لا ينازعونه فيقفون عن المسير، و هذه من وصية سيدى أحمد الرفاعى لأصحابه.

و ينبغى : أن لا يقدموا فى بدء الفواتح و ختمها على من قدموه أولا، و أن يوافقوه فى ذكره و لا يخالفوه، و ليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه فى تقديمهم له، و إياه و حب الرياسة فإنها سيف قاطع، يقطع ظهور المريدين الذين ليسوا بصادقين، فإن الرياسة لا تجل فى قلب أحد من الخلق، إلا إذا كان فعله يناقض الشريعة مع ثبوت عقله، فأما من زال عقله بعارض كونى، أو تجلى إلهى، فلا يعترض عليه، فإنه مسلوب الإختيار.

و إذا لقى أحد منهم أخاه : أن يتصافحا و يسلم كل منهم على أخيه، و يسأله الدعاء بظهر الغيب عند المفارقة.

و إذا سئل أحد منهم عن حال أخيه : أثنى عليه غاية الثناء، لما يعتقده من أخيه من علو المقام، و لا يوافق من يحط على أحد من إخوانه، و لو كان ذلك أيضاً من إخوانه، بل ينهاه عن ذلك و يحذره من مثل هذا، فإن انتهى و إلا هجهره لينتهى.

و إذا نقل له أحد أن بعض إخوانه قذفه أو سبه، فليقل للناقل : يا هذا لا أصدق فى أخى ما تقول لما أعلم من صدق وده، و إذا وقع من أخى ذلك فلغلبة نار نفسه عليه، و ليس ذلك بإختياره، و أنا أشهدك فى مسامحته، فلهذا لا يقع التنافر بين الإخوان.

و من أوصافهم : ترك المجادلة و المباحثة و المماراة، فإن طريق القوم بعيد عن ذلك، و ينبغى إذا سئل أحدهم عن مسألة، أن يرفع السائل إلى الشيخ، فإن لم يكن، فإلى أحد من إخوانه، فإن لم يكن منهم أحد، و لا كان فى ذلك المكان من يرفعه إليه، فحينئذ يجيبه المريد مع رؤية نفسه أنه ليس أهلاً لذلك، فإن كل من فتح على نفسه باب الرياسة لا يفلح أبداً، فليجتهد المريد فى شرط الصمت ما أمكن.

و من شأنهم : التباعد عن مخالطة الأحداث و معاشرتهم، فإن معاشرة هؤلاء مما يوقع المريد فى المهالك، لأن النفس آمارة بالسوء، و ميالة إلى المعاطب، تلقى صاحبها إلى الهلكات، و تحسن له فعل مثل ذلك، و يساعدها الشيطان و الهوى فى مرامها، حتى يسقط المريد فى وادى الميل إلى الأحداث و النساء، فيقع بسبب ذلك فى الأمور التى لا ترضى، نعوذ بالله من شرور نفوسنا الأبية، و نسأل الله المعونة على دسائسها الخفية.

و قد قال القشيرى -رضى الله عنه- :
من ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ، ذلك عبد أهانه الله و خذله، بل عن مصالح نفسه شغله، و لو بألف ألف كرامة أهله.

و كان الواسطى -رضى الله عنه- يقول :
إذا أراد الله هوان عبده ألقاه إلى هؤلاء الأنتان الجيف.

موقع الطريقة الدومية الخلوتية

يريد بهم الشباب المرد الذين تميل إليهم النفوس، فليحذر المريد الصادق عن مجالسة الأحداث المرد، إلا فى حلقة الذكر و الدرس بحضرة الشيخ، مع غض البصر عنهم ما أمكن.
و كذلك النساء و مؤاختهم و الإجتماع بهن، كما عليه فقراء هذا الزمان، فإن ذلك لا يجوز.
و أما وعظهن و النصيحة لهم، فإن ذلك جائز.

و قد قلت :

نصحت يا هذا فإن تك طالباً * طريق الهدى فأعمل بكل كلامى
و يمم بصدق للطريق فأنه * به يحتظى المشتاق كل مرام
طريق به نور الولاية ساطع * رفيق بمن وافوا إليه ظوامى
و فيه فلذ إن رمت ترقى إلى العلا * و سر بإجتهاد و أنف طيب منام
فإن كنت من خطابنا قم بقولنا * و إلا فسر عنا أخى بسلام

و هذا القدر كاف للإخوان الصادقين، و المريدين العاشقين، فإن الذكى يفهم بالتلويح و الإشارة، و الغبى لا يفهم و لا بصريح العبارة، و من عمل بالقليل جره إلى الكثير، و نسأله سبحانه و تعالى أن يوفقنا و إخواننا و أحبابنا، إلى ما يرضيه من قول و عمل، و أن يختم لنا بالحسنى عند إنتهاء الأجل، و أن لا يجعل حظنا القول باللسان، و أن يخلقنا و يحققنا فى المعارف اللدنية، و الأسرار الخفية فى السر و الأعلان، إنه و لى ذلك و القادر عليه، و هو الذى جميع الخيرات منه و إليه، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، و الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

موقع الطريقة الدوسية الخلوتية